إبراهيم أبراش

عيد العرش في المغرب :تاريخه ورمزيته

لكل أمة من الأمم تقاليدها وأعرافها وتراثها وهويتها التي تعتز بها ،والأعياد الوطنية جزء من هذه المنظومة سواء كانت أعياداً وطنية أو دينية . إن كانت الأعياد الدينية تُحيل إلى مناسبة أو حدث ديني غير مرتبط بالنظام السياسي أو بالسياسة بشكل عام لأنه موجود ومتواصل حتى وإن تعاقبت وتغيرت الأنظمة السياسية ،فإن الأعياد الوطنية تُحيل إلى مناسبة أو حدث وطني وغالباً سياسي ، والهدف من وجود الأعياد الوطنية استحضار التاريخ الوطني من خلال أحداث معينة لها رمزية تفتخر بها كل الأمة ومن خلالها تحفز الذاكرة وتشحن الهمم وتعزز الروح الوطنية عند الأجيال المتعاقبة ، مثل عيد الاستقلال أو ذكرى معركة شهيرة أو حدثاً مثّل منعطفاً في تاريخ الأمة كالثورات الشعبية أو وحدة بعد انفصال أو ذكرى تنصيب ملك أو رئيس ترك بصماته على الأمة الخ .

ولأن الأعياد الوطنية ،من حيث دلالتها ورمزيتها وطقوسها غير منفصلة عن ثقافة البلد ،فإن لكل بلد طقوسه الخاصة في احتفالاته ،وهي طقوس قد تبدو غريبة وأحيانا مستهجنة عند المراقب الخارجي ولكن لها دلالات عميقة عند أهل البلاد .

في هذا السياق تأتي احتفالات المملكة المغربية بعيد العرش في الثلاثين من يوليو من كل عام وهي ذكري تنصيب الملك محمد السادس على العرش ،وفيها تشارك كل قطاعات الشعب إلى جانب المؤسسة الملكية ،وتتجسد فيها مقولة "العرش بالشعب والشعب بالعرش " .

أما قصة عيد العرش فتعود لعام 1933 وأثناء الاحتلال الفرنسي للمغرب وكان صاحب الفكرة رجل من أصل جزائري مقيم بالمغرب وهو محمد الصالح ميسة ، مدير مجلة "المغرب" التي كانت تصدر من الرباط آنذاك . ويذكر محمد الحسن الوازاني مؤسس حزب الشورى والاستقلال عام 1946 ، في كتابه "حياة وجهاد " :إن فكرة الاحتفال بذكرى تولية السلطان محمد بن يوسف خلفا لوالده السلطان المولى يوسف راجت لأول مرة بواسطة محمد صالح ميسَّة، وإليه يرجع التفكير في هذه المبادرة .

لم تكن المناسبة الأولى لعيد العرش مجرد احتفال بتنصيب ملك بل أرادها المغاربة مناسبة وطنية وفرصة لإظهار التفاف الشعب حول الملك كما يقول مستشار الملك الراحل الحسن الثاني عبد الهادي بوطالب في وصفه لأول احتفال بعيد العرش عام 1933 في مدينة فاس : " كان المهرجان الوطني الشعبي الأول الذي تعقده الحركة الوطنية المغربية بالمدينة" .

منذ عام 1934 أصبح الاحتفال يأخذ طابعاً رسمياً ومؤسساتياً وفي هذا السياق يقول عبد الهادي بوطالب : "...فعيد العرش الذي فرض الشعب المغربي على الحماية الفرنسية إعلانه عيداً قومياً أصبح عيد تحدي الوطنيين للاستعمار الفرنسي ، الذي أخفق في محاولة عزل السلطان عن شعبه ورعيته ، مثلما فشلت تدابير قمع هذا الاستعمار في محاولة إقبار الحركة الوطنية في مهدها ". أما المؤرخ المغربي عبد الحق المريني فيقول : "إن عيد العرش بالمغرب يعتبر عيد الأمل والاستمرارية والبيعة والنهضة الشاملة والإخلاص لله والوطن والملك" .

وهكذا ظهر عيد العرش وتواصل سنويا كعيد رسمي تتزامن ذكراه مع تولي الملك الجديد العرش ،ففي زمن محمد بن يوسف (محمد الخامس) كان عيد العرش يوم الثامن عشر من نوفمبر ، وفي عهد الملك الحسن الثاني كان يوم الثالث من مارس ،والآن في عهد الملك محمد السادس يوم الثلاثين من يوليو **،**وغدا ستبدأ احتفالات المغاربة بهذه المناسبة حيث تم تنصيب محمد السادس في مثل هذا التاريخ عام 1999 .

في ذكرى العرش يبايع الشعب الملك مجدداً في ظل طقوس متعارف عليها ويُجمع عليها الشعب ،طقوس واحتفالات تجمع ما بين الأصالة والمعاصرة وما بين الملوكية السياسية ومكانة الملك كأمير للمؤمنين كما ينص الدستور . كما يُعتبر خطاب عيد العرش أهم مناسبة ليصارح الملك الشعب بأوضاع الوطن ويتم تقييم ومراجعة للمرحلة السابقة ،وفي كثير من الحالات يمارس الملك النقد لسلوك الحكومة وبقية المؤسسات العامة ويضع الخطوط العريضة للإستراتيجية المطلوبة للمرحلة القادمة في كافة المجالات ويترك للحكومة السير على هداها .

بعد عشرين عاما على تنصيب محمد السادس وقبل أيام من إحياء الذكرى العشرين للتنصيب خصصت مجلة "جون أفريك" الفرنسية في عددها الأسبوع الماضي ملفا عن عيد العرش في المغرب ومما جاء في افتتاحية المجلة إن : " المملكة شهدت ما بين 1999 و 2019 تحولا تدريجيا لا رجعة فيه " مضيفا أن "المغرب عرف تحديثا وعصرنة على جميع المستويات الاقتصادية والإدارية والثقافية والمجتمعية وعلى صعيد البنيات التحتية ... وان المملكة واصلت أيضا تطورها على المستوى الديمقراطي من خلال اشراك المرأة في اللعبة السياسية ، تطوبر العمل الجمعوي ،والشفافية في الانتخابات ، واحترام نتائج صناديق الاقتراع ".

وأخيرا هذه خصوصية احتفالات المغاربة بعيد العرش ،وكثيرة هي الأشياء التي تميز المملكة المغربية عن غيرها من الدول العربية والإسلامية ،أحيانا تميز أفضلية وحينا تميز اختلاف . هذا يعني أن المغرب عنده أيضا مشاكل ويواجه تحديات ،ولكنه يمثل نموذجا مختلفا عن غيره من الدول من حيث :العلاقة بين الشعب والعرش ،العلاقة بين الديني والسياسي ،العلاقة بين المكونات الاجتماعية والعرقية ،في تطبيقه للديمقراطية ،وفي طبيعة النظام السياسي والاجتماعي وقدرته على الحفاظ على الاستقرار في ظل الأحداث التي تعصف بجيرانه وبالعالم العربي من حوله .

Ibrahemibrach1@gmail.com